

عندما تكون الصعبة بلا ثمن إبراهيم يحيى أبو ليلى



بسم الله الرحمن الرحيم....
نعم عندما تكون الصعبة بلا ثمن تكون التضحيات بلا حدود تكون النصيحة بإخلاص وتجرد وصدق وشفافية؛ وقد يسأل أحدهم قائلاً فكيف ذلك؟..

أقول عندما خرجت قريش بقضها وقضيدها تحاول إنقاذ تجارتها من بين أيدي المسلمين الذين خرجوا من مدينتهم الوليدة التي انشأها رسول الله نبينا في يثرب نعم خرجت قريش بصلفها وجبروتها لمحاربة الله ورسوله ظلماً وعدواناً واتجهت الى آبار بدر حيث المعركة الأولى بين جيش الكفر والظلام وجيش الإيمان والنور والتي وضعت الحد الفاصل بينهما في تلك الآونة فهي معركة الفرقان التي فرق الله بها بين الحق والباطل فخرج المسلمون بقيادة نبيهم ومعلمهم فاستشار الرسول الكريم وكان يقصد الأنصار بالذات فهم الذين بايعوه عند العقبة في مكة على أن يدافعوا عنه ويفاتلوا كل من حاول اقتحام المدينة نعم كانت البيعة على من حاول الدخول الى المدينة ولم تكن على الخروج معه إذا أراد أن يقاتل عدوا خارج أسوار مدينتهم هذا هو العهد والاتفاق فيما بينهم والرسول الكريم خير من يصون العهد ويمضي الاتفاق اليس هو القائل (إن المسلمون على شروطهم) وكيف لا يلتزم بالاتفاق والشرط والعهد وهو الذي قال (أدبني ربي فأحسب تأديبي) وهو يقرأ عليهم قول الله تعالى الذي أنزل اليه :- (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ آتَى الْوَعْدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَا يُغْلِبُ مَا تَفْعَلُونَ) نعم هكذا كان الأمر فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عباد فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا) ثم قام المقداد ابن عمرو رضي الله عنه فقال موقف المقداد بن عمرو :- : "يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَتَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ مُقَاتِلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ مُقَاتِلًا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرَّتْ بِنَا إِلَى بَيْتِكَ الْغَمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ" ...

فهل هناك تضحيات أكبر وأجل من هذه من قبل صحابة لم يطلبوا ثمناً لصحبتهم تلك فكانت التضحيات بأعلى ما لدى المرء النفس والمال والولد..

وايضاً هناك تضحية اخرى لا تقل شأناً عن هذه تلك التضحية تتمثل في فعل الصحابي الجليل قتيل الرجيع خبيب بن عدي رضي الله عنه فعندما خرجوا به أي المشركون الذين غدروا به وبصاحبه بين مكة وعسفان عندما خرجوا به ليقتلوه وقد نصبوا خشية ليصلبوه، فأنتهى إلى التعيم، فقال "إن رأيتم أن تدعوني أركع ركعتين"، فأذنوا له، فصلى ثم قال "والله لولا أن تظنوا إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة"، فكان أول من سن الصلاة عند القتل.

قال سعيد بن عامر بن حذيم "شهدت مصرع خبيب، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة، فقالوا: "أتحب أن محمداً - رسول الله - مكانك؟" فقال "والله ما أحب أني في أهلي وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم شريك بشوكة" وقد قال منشداً قبل مقتله :-

لقد جَمَعَ الأحزابُ حَوْلِي وألْبُوا
قبائلَهُمْ واسْتَجَمَعُوا كُلَّ مَجْمَعٍ

وكُلَّهُمْ فَبَدِي العداوةِ جَاهِدُ
عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وَثَاقِي بِمَضِيَعٍ

وقد جَمَعُوا أبناءَهُمْ ونِسَاءَهُمْ
وَقَرَّبْتُ مِنْ جِدْعٍ طَوِيلٍ مُعَلِّعٍ

إلى الله أسْكُو عُزْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي
وما أَرْضِدُ الأحزابُ لي عندَ قصرعي

مَدَا العرشِ صَبْرَنِي على ما يُرَادُ بي

فقد بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأُ

يُبَارِكُ على أوصالِ شِلْوِ مُفَرِّعِ

وقد حَيَّرُونِي الكُفْرَ والموتَ دُونَهُ
وقد هَمَلْتُ عَيْنَايَ من عَيْرِ فَجْرِعِ

وما بي خَذَاؤُ الموتِ، إنِّي لَمَيِّتٌ

ولكنْ خَذَارِي جَحْمُ نارٍ مُلْفَعِ

فلسْتُ أبالي حينَ أُقتلُ مُسليماً

على أيِّ جَنَبٍ كانَ في اللهِ مَصْرَعِي

ولسْتُ بعميدٍ للعدوِ تخشعاً
ولا جَرَعاً، إنِّي إلى اللهِ مَرْجَعِي

رضي الله عن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم....

ألم اقل لكم إن الصبحة عندما تكون بلا ثمن تكون التضحية بلا حدود ولا تعرف المستحيل وتوشك ان تكون من الأساطير وهي لعمرى الحق من الحقائق الثابتة ثبوت الجبال الراسيات اي قوم هؤلاء هل هم من البشر أم من الملائكة بل هم من البشر ولكنهم كادوا ان يحملوا طهر الملائكة فهم لا يتكبرون ابدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها فلنعلم ابنائنا وقبل ذلك أنفسنا عدم الأنايية وأن لا يطلبوا ولا نطلب ثمناً لكل شيء فهناك أمور وأشياء لا تقدر بثمن مما بُذِلَ فيها من مال ومهما اعطي لها من ثمن مادي فستظل اكبر من هذا كله والتمن الوحيد الذي يقوم مقام هذه التضحيات هي الجنة وليس غير ذلك...

إبراهيم يحيى أبو ليلي